السياسة الخارجية الفلسطينية قبل، وبعد، اعلان الاستقلال

محمد خالد الأزهري

مرّت السياسة الخارجية الفلسطينية، منذ العام ١٩٦٤، بمرحلتين أساسيتين، هما مرحلتا ما قبل اعلان الدولة في العام ١٩٨٨، وما بعد هذا الاعلان. المرحلة الأولى امتدت، كما هو واضح، الى نحو ربع قرن، وفيها كانت منظمة التحرير الفلسطينية، بمواثيقها وهياكلها وممارساتها، الكيان الرسمي الشامل للشعب الفلسطيني، القيّم على سياسته الداخلية، والخارجية. أمّا المرحلة الثانية، التي شهدت اعلان قيام الدولة المستقلة، فهي ما زالت قيد التطور بتؤدة وتمهّل شديدين، ولم تتضمن تغيراً هيكلياً ملموساً في الاطار البنائي المؤسساتي للمنظمة. ومع ذلك، فان قيام الدولة يفترض ان يستتبعه، نظرياً على الأقل، تطور في النظرة التحليلية للسياسة الخارجية الفلسطينية. ذلك ان للدولة سلوكها ومنهجها السياسي المختلف على نحو أو آخر، مقارنة بالمنظمة. بعبارات أخرى، يشير اعلان الدولة الى بروز فاعل، أو لاعب، جديد في معترك العلاقات الدولية، له خصائصه ومواثيقه وهياكله وأهدافه وأدواته المختلفة عن تلك التي للمنظمة.

والواقع، ان دراسة السياسة الخارجية الفلسطينية، في ظل م.ت.ف. لا تزال، في نظرنا، تمثّل مدخلاً مناسباً للتحليل. يعود ذلك الى ان المنظمة لا تزال تضطلع بدورها كاملاً، بالقدر ذاته الذي كانت تقوم به قبل اعلان الدولة. كما ان اعلان الدولة لم يستتبعه فضّ أي من أجهزة المنظمة، أو مؤسساتها الرئيسة، أو الفرعية. هذا الى جانب ان هذه الدولة لا تزال خاضعة للاحتلال الاسرائيلي، ولم تمارس السلطة السياسية الفلسطينية سيادتها القانونية على أرض فلسطين، وانْ كانت تمارس فعلياً بعض الاختصاصات، بشكل أو بآخر. وهذا لا يعني، بالطبع، ان اعلان الدولة لم يأت بجديد، في ما يتعلق بالحياة السياسية الفلسطينية، أو بمسار القضية الفلسطينية ذاتها.

تنطوي دراسة السياسة الخارجية الفلسطينية، من مدخل دراسة السياسة الخارجية لـ م.ت.ف. على اشكالية منهجية وعملية، لعل أهمها ان الاقتراب من تحليل السياسة الخارجية للمنظمة يختلف عن اقتراب تحليل السياسة الخارجية للدول. ومؤدى ذلك ان المدرسة التقليدية لتحليل السياسة الخارجية، عموماً، تعتبر ان الدولة هي الفاعل الرئيس، انْ لم يكن الوحيد، في العلاقات الدولية بعامة. فالدولة، بحكم احتكارها وسيطرتها على مصادر القوة، هي الجهة الوحيدة القادرة على العمل الخارجي المؤثر، ومن ثمّ انتهت هذه المدرسة الى ان دراسة السياسة الخارجية تقتصر على دراسة السياسة الخارجية للدول؛ أمّا الكيانات الأخرى، كالتنظيمات الحكومية وغير الحكومية والحركات الثورية، فهي ليست سوى أدوات في يد الدولة، ولا تستطيع المبادأة، أو